شرح قصيدة يسلم المرء أخوه

تعدُ هذه القصيدة من أشهر قصائد الشاعر الشهير أبي العتاهية، فقد كتبها يصف فيها أحوال الناس أمام الموت، وكيف أنَ الموت هو نهاية كل حيّ لا محالة، وكيف يذهب المرء بلمح البصر ولا يذهب معه أحد من أهله، وقد قال في مطلعها: يُسلِمُ المَرءَ أَخوهُ لِلمَنايا وَأَبوهُ، وأضاف كثير من الحكم الحميدة، وهي من القصائد متوسطة الطول فقد بلغ عدد أبيات القصيدة 44 أبيات فقط، وقد نظمها الشاعر على بحر مجزوء الرمل وقافية الهاء المضمومة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح قصيدة:

يُسلِمُ المَرءَ أَخوهُ لِلمَنايا وَأَبوهُ
وَأَبو الأَبناءِ لا يَبقى وَلا يَبقى بَنوهُ
رُبَّ مَذكورٍ لِقَومٍ غابَ عَنهُم فَنَسوهُ
وَإِذا أَفنى سِنيهِ المَرءُ أَفنَتهُ سِنونُ

يبدأ الشاعر القصيدة ببداية قوية تشير إلى استسلام البشر جميعًا للموت فيقول: إنَّ الإنسان ميت لا محالة، وهو الذي طوعًا أو كرهًا يسلم من حوله للموت، وتراه يفقد أخاه ثمَّ أباه، ويذهب الأبناء وأبو الأبناء، فلا يبقى أحد على وجه الأرض، كل الناس سوف يموتون ويسلمون بعضهم بعضًا للموت، وقد يكون هنالك شخص من الأشخاص مذكورًا اليوم بين الناس الذين يعرفونه، ولكن بعد حين سوف يكون منسيًا ولن يذكره أحد، وعندما ينهي الإنسان سنوات حياته سوف تنهيه وتهلكه ليكون نسيًا منسيًا.

كَأَنِ بِالمَرءِ قَد بَكى عَلَيهِ أَقرَبوهُ
وَكَأَنَّ القَومَ قَد قاموا فَقالوا أَدرِكوهُ
سائِلوهُ كَلِّموهُ حَرِّكوهُ لَقِّنوهُ
فَإِذا استَيأَسَ مِنهُ القَومُ قالوا حَرِّفوهُ

وعندما تحين ساعة الموت وكأني أرى إنسان قد فارقت روحه جسده، وقد اجتمع الأهل والأقارب حوله، وينادي بعضهم على بعض أن انظروا في حال أخيكم لا تتركوه يموت، وحاولوا أن تتكلموا معه وتتحدثوا إليه عسى أن يردَّ عليكم، وحاولوا تحريكه عسى أن يستجيب ويغفل الموت عنه، وعندما يقطع الأهل والأقرباء حوله الأمل والرجاء منه، يستسلموا للموت ويقولوا أغمضوا له عينيه وأعدوه للغسل والكفن والدفن.

وَكَأَنَّ القَومَ فيما كانَ فيهِ لَم يَلوهُ
اِبتَنى الناسُ مِنَ البُنيانِ ما لَم يَسكُنوهُ
جَمَعَ الناسُ مِنَ الأَموالِ ما لَم يَأكُلوهُ
طَلَّبَ الناسُ مِنَ الآمالِ ما لَم يُدرِكوهُ

وعندما يقوم القوم بدفن ميتهم، يتركوه في القبر وحيدًا ويرجعون إلى مساكنهم، ويعيشون وكأنهم لن يتبعوه عمَّا قريب، حيث أنَّ الناس يقبلون على الدنيا وكأنهم خالدون فيها، فيبني الإنسان البيوت والقصور ولا يسكنها إلا لوقت قليل ثم يموت، ويجمع المال ولا ينفقه، بل يأخذه الورثة من بعده، ولا يسعفه الوقت لإنفاقه كلّه، كما أنَّ الإنسان يتمنَّى تحقيق الكثير من الأماني ولكنه يغفل عن كونه لن يحقق هذه الأحلام لأنَّ الموت أقرب إليه منها جميعها.

لَو رَأى الناسُ نَبِيّاً سائِلاً ما وَصَلوهُ
وَهُمُ لَو طَمِعوا في زادِ كَلبٍ أَكَلوهُ
لا تَراني آخِرَ الدَهرِ بِتَسآلٍ أَفوهُ
إِنَّ مَن يَسأَلُ سِوى الرَحمَنِ يَكثُر حارِموهُ

ثم يتابع الشاعر ذكر صفات الإنسان من الطمع والجشع وما إلى هنالك فيقول: من بخل الناس وطمعهم لو أنَّهم شاهدوا نبيًا يسألهم عطاءً لمنعوه ولم يعطوه شيئًا، ومن شدة طمعهم لو رأوا طعام كلب وطمعوا فيه لأكلوه ولم يروا حرجًا في ذلك، فقد أعمى الطمع أبصارهم وقلوبهم، ولذلك قطعت عهدًا أني لا أسأل أحدًا شيئًا حتى أموت ولن أنطق بسؤال أحد، وسؤال غير الله تعالى من الأمور الخاطئة، فمن يسأل غير الله تعالى لا يزيد سوى عدد من يحرمه من العطاء، فإذا سألت فاسأل الله تعالى فقط.

إِنَّما يُعرَفُ بِالفَضلِ مَنِ الناسِ ذَوَهُ
أَفضَلُ المَعروفِ ما لَم تُبتَذَل فيهِ الوُجوهُ
أَنتَ ما اِستَغنَيتَ عَن صاحِبِكَ الدَهرَ أَخوهُ
فَإِذا اِحتَجتَ إِلَيهِ ساعَةً مَجَّكَ فوهُ

وإنَّ من يشتهر بالفضل بين الناس هم أصحاب الفضل والعطاء والسخاء، وأحسن وأفضل العطايا هي التي لا يضطر من يحتاج إليها إلى التعرض لذل السؤال ومهانته وبذل ماء وجهه أمام صاحب العطاء والمعروف، فأمَّا المعروف الذي يعرض الإنسان للذل والمهانة فليس بمعروف أصلًا والإنسان بغنى عنه، وإذا ما كنت غنيًا عن صاحبك أيها الإنسان فسوف تكون أخًا له طوال الدهر، وسوف تجده قريبك دائمًا، وأما إذا ما احتجت إليه في يوم من الأيام وطلبت منه المساعدة أو المال فسوف يعرض عنك ويبصقك من فمه ويتركك دون أدنى حرج من فعله ذلك.

الصور الفنية في قصيدة يسلم المرء أخوه

اشتملت القصيدة على العديد من الصور الفنية التي تزيد المعاني فيها جمالًا وتساعد في وصولها إلى القراء بطرق متميزة غير مباشرة، وتُستخدَم تلك الصور البيانية والفنية في الشعر العربي بشكل كبير، ولا تخلو منها قصيدة من قصائد الشعبر العربي، ولها أنواع كثيرة مثل التشبيهات والتوكيد والاستعارات والجناس والطباق وغير ذلك، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية والبلاغية في القصيدة السابقة:

- **استعارة مكنية**: وردت في قول الشاعر: يُسلِمُ المَرءَ أَخوهُ لِلمَنايا وَأَبوهُ، فقد شبَّه الشاعر المنايا بإنسان يمكن التعامل معه وتسليمه الأشخاص، ولكنه حذف المشبه به وهو الإنسان أو الشخص، وذكر إحدى صفاته التي دلت عليها كلمة "يُسلم" للمنايا.
- **أسلوب الكناية**: كنَّى الشاعر بالكثير من العبارات عن معانٍ مختلفة غير معاني الكلمات الأصلية كما في قوله: وَهُمُ لَو طَمِعوا في زادِ كَلبٍ أَكَلوهُ، في هذا البيت كناية عن الطمع المجبولة عليه نفوس البشر.
- **أسلوب الطباق**: ورد الطباق في قول الشاعر: رُبَّ مَذكورٍ لِقَومٍ غابَ عَنهُم فَنَسوهُ، فكلمة مذكور عكس كلمة فنسوه، وهما من التذكر والنسيان.
- **أسلوب الجناس:** ورد أسلوب الجناس في قوله: إِنَّ مَن يَسأَل سِوى الرَحمَنِ يَكثُر حارِموهُ، وردت كلمة الرحمن وكلمة حارموه، وفيهما جناس ولكنه جناس غير تام، بسبب اختلاف ترتيب بعض الحروف بين الكلمتين.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة يسلم المرء أخوه

العديد من الأشخاص قد يجدون صعوبة في معرفة وفهم معاني بعض الكلمات في القصائد وخصوصًا القصائد القديمة مثل القصائد الجاهلية وقصائد العصور الإسلامية اللاحقة وحتى القصائد الكلاسيكية التي سارت على نهجها في القرن العشرين، لأنَّ كثير من الكلمات التي يستخدمها الشعراء لا تستخدم في الحياة العامَّة بين الناس، فقد تطورت اللغة العربية كثيرًا كما تطورت استخداماتها مع مرور السنوات، واختلفت اللهجات العامية عن اللغة العربية الفصيحة بشكل كبير، وفيما يأتي سوف يتم إدراج معاني أهم المفردات الصعبة في القصيدة:

المفردة	شرح المفردة
المنايا	جمع منية وهي الموت
استيأس	يأس وقطع الأمل والرجاء
حرفوه	أغمضوا له عينيه
يلوه	يتبعوه ويلحقوه
ابتنى	بنى وشيد وأسس
وصلوه	أعطوه مراده ومنحوه
تسآل	من السؤال وهو طلب المعونة والمساعدة من الناس
أفوه	أتكلم وأنطق
ذوه	أصحابه وأهله
تبتذل	تلقى الذل والمهانة والاحتقار
مجك	بصقك وأخرجك من فمه
فوه	فمه